

## الباب الثالث

### أدب العلم

شرف الانسان - فضل العلم - فضل التعليم والتعلم - العلم في السفر - تفاضل العلوم - ابتداء أمر العلم في الاسلام - العلوم التي اشتغل بها المسلمون - المقدار اللازم من العلم الذي هو فرض عين - أدب التوحيد - الفقه - علم التفسير - علم الادب - العلوم الآلية - ما يلزمنا الآن معاشر المسلمين بالنظر الى الجمهور

يمتاز الانسان عن الحيوان الاعجم بقوة العقل والفكر والنطق وهذه الميزة والكرامة من الخالق جل شأنه للانسان جعلته أهلاً للخلافة أي السيادة على الارض يستعملها ويسود عليها ويستخدم يدايها وقواها الطبيعية في شؤونه بالعمل والكسح ولذلك كان من أهم واجباته أن يستزيد مما يقويه ويسهل عليه مهمته هذه ولا شيء ينيله ذلك غير العلم والمعرفة ولهذا جاء الدين الاسلامي حاثاً على العلم أمراً به موجباً له كفرض عين على كل مسلم في أمرى الدين والدنيا حتى يعلم الانسان المفروض عليه في اعتقاداته وعباداته وأمر معاشه في الهيئة وأدب الاجتماع البشرى واصلاح هذه الدنيا التي ينتفع

بها واتقان ذلك كله بالعلم والمعرفة وفي هذا منتهى الشرف والرفعة  
 لنوع الانسان وتفاضله من أجلها بمضيه على بعض وكتاب الله  
 تعالى ناطق بفضل العلم والعلماء « قل هل يستوى الذين يعلمون  
 والذين لا يعلمون » « انما يخشى الله من عباده العلماء » وقال  
 صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة  
 البدر على سائر الكواكب » وقال عليه الصلاة والسلام « الايمان  
 عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم » وقال أيضاً  
 « اذا أتى عليّ يوم لا ازيد فيه علماً يقربني من الله عز وجل  
 فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم » وقال عليه الصلاة  
 والسلام ( العلماء ورثة الانبياء ) وفي حديث آخر ( من يرد الله  
 به خيراً يفتهه في الدين ويلهمه رشده )

وقال الامام علي رضي الله تعالى عنه لاكميل ( يا كميل العلم  
 خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والمسلم حاكم  
 والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة والمسلم يزكو على  
 الانفاق ) وقال الزهري ( ما عبد الله بشيء أفضل من العلم )  
 هذا قليل من كثير مما قيل في فضل العلم على الاطلاق  
 وما قيل عند أهل الاسلام في فضل التعلم والتعليم بالتبعية لذلك

كثير ايضاً قال تعالى ( ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً ) ولا شك ان الدعوة الى الله تعالى لا وسيلة لها الا بالعلم والتعليم اللذين ثمرتهما العمل ولقد حث القرآن الحبيب على نشر العلم وطلبه قال تعالى ( فلولا نفر من كل فرقة نفر ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ) وقال تعالى ( واذا أخذ الله من النبيين ميثاقهم لتبينه للناس ولا تكتُمونه ) أراد به الله تعالى نشر العلم أو ما هو من أخصه معرفة الله تعالى وشرائه

( وقال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

الحسنة )

وما الحكمة والموعظة الحسنة الا العلم الشامل الجامع لخيري الدنيا والدين كالذي يطلب اليوم وينشد من ( جامعات العلوم ) و ( كليات المدارس ) وفي هذا منتهى الفخر والسؤدد الذي جاء للترغيب في الاستزادة منه قوله تعالى ( قل رب زدني علماً ) وجاء في الحديث على طلب العلم ( طالب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ) وفي حديث آخر ( اطلب العلم ولو بالهين ) وفي حديث ( طلب العلم أفضل عند الله من الصلاة

والصيام والحج والجهاد في سبيل الله عز وجل ) وفي حديث  
 ( أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم )  
 وهناك حديث آخر قال علي فضل العلم وطالبه ( ان الملائكة  
 تنضع أجنتها لطالب العلم )

والآثار في الباب باب مدح العلم والتعلم كثيرة لا يكاد  
 يحصيها مثل هذا المختصر ولقد شبه بعض العلماء حاجة الإنسان  
 الى العلم بحاجة المريض الى الدواء فالعلم ضروري للنفس والتعلم  
 واجب على المرء ولقد قال الامام علي كرم الله وجهه ( ليس  
 الخير ان يكثر مالك وولادك ولكن الخير ان يكثر علمك ) ومثل  
 ابن شهاب أفضل العلم أم العمل فقال ( العلم لمن جهل والعمل  
 لمن علم ) وقال الشافعي رضي الله عنه ( طلب العلم افضل من  
 جملة الذنابة )

وأفضل العلم ما لقن في الصغر لأنه يكون كما قال رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم ( العلم في الصغر كالنقش في الحجر )  
 وقال عليه الصلاة والسلام في الترغيب في تعليم الاطفال  
 ( ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن يفيد إياه او  
 جهل قبيح يكفه عنه ويمنه منه ) وقيل ( من أدب ولده فقد

## أدب العلم

ارغم ضده ومن لم يجلس في الصغر حيث يكره لم يجلس في  
الكبر حيث يحب ( لكن اذا كانت هذه الدنيا من المهدي الى  
الاحد دار عمل وكدهح وتجربة وتعلم لذلك لم يكن لامرئ بد  
من الاستزادة فيها من العلم والنور وقد صرّ بك قوله تعالى  
(وقل رب زدني علماً) والحديث الشريف ( اذا أتى على يوم  
لا أزداد فيه علماً فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم )  
مع ان مقامه صلى الله عليه وسلم أرفع من ان يحتاج فيه الى  
التعليم النبوي وانما حكاها للتشريع ككل ما جاء مثله للتشريع  
الامة وتعليمها وارشادها حتى لا يقصد بالكبير والعظيم همتها  
دون الاستفادة والاستزادة من علم ينفع وحكمة تلتقط وعمل  
جليل يختار ، ولقد سأل بعض الناس عالماً عظيماً من السلف  
الصالح ( أحسن بي أن أتعلم وأنا كبير - فقال له ذلك العالم على  
الفور - اذا كان يحسن بك أن تعيش فانه يحسن بك أن تتعلم )  
وكان عطاء يقول وهو في التسعين من سنه ( ووددت لو اني  
أحسن العربية )

فالعلم والعمل به هو السعادة الابدية لانه وسيلتها المظهي  
ونقطة ارتكازها الكبرى في الدنيا والآخرة بل هو مطية

السعادة الذاتية ومنتهى لذة الحياة وتقدمها ولقد قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم في حديث شريف ( من طلب الدنيا  
فعلية بالعلم ومن طلب الآخرة فعليه بالعلم ) وقال في حديث  
آخر ( إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم من يطلب الخير يؤثمه  
ومن يتق الشريعة ) ولا شر شر من الجهل <sup>(١)</sup>



والعلوم البشرية تتفاضل بحسب الفوائد التي تحصل منها  
والثمار التي تجني وزيادة النفع بالنسبة الى الظروف المحددة  
والمقتضيات الزمانية غير ان ما كان على العموم من العلوم  
والمعارف أمس بأحوال الناس الاجتماعية وألصق بأمورهم  
النفعية كالشرائع والآداب ونحوها عد أشد وجوباً من غيره  
في التعليم ثم يأتي بعده الامثل فالامثل من العلوم والمعارف  
البشرية مرتبة بحسب مراتبها النفعية كالتب لفظ صحة  
الابدان والحساب والهندسة للزومهما في قيام المصالح وعمارة  
هذا العالم ثم العلوم الكونية الطبيعية لمعرفة ما في الكون من  
عجائب وغرائب وقوى وامرار ومنافع ناهيك بأن فيها وفي

(١) الاحياء والجامع الصغير وغيرهما

نواميسها الدقيقة المحكّمة النظام والترتيب اجل براهين وجود  
الصانع تعالى وبتدبير حكيمته

ولقد جعلت الشريعة الاسلامية العلوم والمعارف درجات  
بعضها فوق بعض فكان منها بمقتضى هذا الترتيب ما تعلمه في  
نظر الشريعة ( فرض عين ) كالمقائد والشرائع التمهيدية وبعض  
التعاملية والآداب النفسانية ومنها ما هو ( فرض كفاية ) اذا  
قام به البعض سقط عن الآخرين كالمهندسة وكالطب الى  
اشباه ذلك فتري من هذا ان الدين الاسلامي قد أحكم الاختيار  
في تحرى العلوم بالنظر الى مصالح البشر الصحيحة مما يمتنى به  
وينشده علماء العصر في تبسيط أمهات الشرائع والآداب  
العملية الى اشباه ذلك لانهم يرونها كما رأتها من قبل مبادئنا  
الاسلامية من لوازم البشر في اجتماعاتهم وحاجتهم الى العلوم  
بحسب تفاوتها في درجة نفعها ووزومها لسير العمران من  
أصول الآداب الاجتماعية والشرائع ثم وسائل ذلك من  
أصول المعارف الاخرى الضرورية ثم تخصيص العلوم العالية  
والتعمقات الفنية بفئات مخصوصة كالتى هي في حكم الفرض  
الكفائي في شريعتنا الاسلامية

ولما كان المسلمون قلالاً ولأول عهدهم بالحضارة الإسلامية  
 كان تحصيل العلم بينهم قاصراً على فهم أمور الشريعة وآي القرآن  
 واستنباط الأحكام منها ومن السنة بالتلقين والرواية والحفظ  
 دون اهتمام بتدوين علومها في الأسفار والكتب ولكن لم  
 يلبث الحال طويلاً على ذلك حتى غيروا تلك الحال بأرقى منها  
 فكثرت تعلم الخط العربي بينهم ودونت من ثم الكتب والأسفار  
 الجليلة في سائر العلوم وصارت تعليم العلم صناعة من الصناعات  
 تكبر وتقل بحسب الظروف المحدقة بالهيئة الإسلامية في  
 تقلباتها المختلفة

وأكثر أصول العلوم التي يشتغل بها المتأخرون قد أولاهما  
 المسلمون من قبل عنايتهم واشتغالوا بها بقدر طاقتهم ومبلغ  
 ما اقتضته تقدمات عصرهم وورقي أزمته وسعة ممارفهم ولكل  
 أيام دولة ورجال وحال من الرقي يناسب الحال .

أما العلوم الفقهية فقد وفوها حقها بما لا مزيد عليه لمزيد  
 أصولاً وفروعاً بالنظر إلى ما ناسب وقائع زمانهم وظواهر حوادثه  
 وكذا العلوم الكلامية من العقائد والآلهيات ثم علم التفسير  
 تفسير القرآن المجيد وعلوم الحديث حديث رسول الله صلى الله

عليه وسلم ثم علم الاخلاق وآداب النفوس والسلوك على طريقة الصوفية أو على طريقة الفلاسفة اليونانيين ثم علوم اللغة العربية من النحو والصرف والمصاني والبديع والبيان واللفظة والشعر وأدواته ثم المنطق والفلسفة والجدل ثم الطبيعيات والرياضيات والطب والفلك أو الهيئة مما يدلنا على ان قومنا وسلفنا الصالح الاول لم يفهم شيء مما يشتغل به أهل الغرب اليوم من العلوم والمعارف الا بمقدار ما توسع فيها أبناء العصور المتأخرة بمقتضى ناموس الارتقاء في الاساليب والاكتشافات والاختراعات التي انبى عليها نسخ كثير من آراء المتقدمين واقوالهم لا في الاصول الحقة الثابتة ولكن في الآراء الطارئة بحسب تلك المكتشفات في العلوم الطبيعية خصوصاً .

وحيث اني هنا بصدد بيان ادب الاسلام وبعبارة اخرى بصدد ما بنى عليه من الاصول الحقة والامور العامة الداخلة في الادب الاجتماعي الانساني والتمدين البشري وبيان ما اشتغل به المسلمون قديماً وما تأدبوا به او ترقوا بتحصيله من فروع العلوم البشرية اللازمة وفاق ما رأوه في ترتيبها وأهميتها من الوجهة النفعية والمكانة العملية بحسب أحوال الهيئة الاجتماعية

الاسلامية في تلك المصور الماضية خصوصاً فلنكتف اذن  
بسرده بيان أهم فروع تلك العلوم التي اشتغل بها المسلمون مبتدئين  
بالعلوم الحاصصة منها بالاصاق بالدين فأقول .

الاول التوحيد - اختلف علماء الملة قديماً في بيان العلم

الذي هو فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل فقال الفقهاء هو

الفرق المبين للشرائع المبينة للحلال والحرام وسائر المعاملات، وقال

أهل التفسير وأهل الحديث هو علم الكتاب وعلم السنة إذ

يهما يتوصل الى العلوم كلها ، وقال المتصوفة والاخلاقيون هو

علم العبد بحاله ومقامه من الله تعالى والاخلاص له وآفات

النفوس وتركيتها من الارجاس والرفائل ، وقال العالم أبو طالب

المكي هو العلم بما تضمنه حديث نبي الاسلام على خمس شهادة

ان لا اله الا الله الى آخره وهذا الذي اختاره اكثر أجلة

المتكلمين فيكون من أدب الاسلام ان أول ما يجب معرفته

من الفروض العينية « التوحيد » ثم « الفقه » وهذا وذلك

يقتضي النظر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه

وسلم فوجب « التفسير » ووجب « الحديث » واذا كان كل

هذا فيا ظن من أعمال العباد والمقصود بها جميعاً تزكية الباطن

مع الله تعالى ذلك الذي جاء فيه الحديث الشريف « من أحسن  
 فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح  
 سريره أصلح الله علاقته » فمن ثمّ لزم الوقوف على آداب  
 النفوس والممسل على تزكيتها لتتال السعادة الحقيقية ونحن اذا  
 نظرنا الى باقى العلوم الشرعية وما بنى عليها من العلوم الآلية التي  
 جعلت كالوسيلة اليها وجدنا انها كلها متسلسلة الحلقات مفتقر  
 بعضها الى بعض في ادب الاسلام بالمقدار المناسب للكافة في  
 صلاح احوالهم وبالقدر الواجب للخاصة من اربابها في صناعاتها  
 وهذا بعينه ما نراه في احوال المتأخرين فيما رأوه ضروريا من  
 انواع العلوم والمعارف فالشرائع والآداب والمعارف الضرورية  
 لاستصلاح احوال العالم لا بد من ان يلم ابناء الهيئة كلهم  
 باليادى الأولية الضرورية منها من الوجهة العملية خصوصا  
 على مثال ما نراه في التربية العصرية عند المتأخرين فيما يحتاجون  
 اليه من العلوم والمعارف النافعة في التربية العمومية أما التعمق  
 والتبحر في الاصول والفروع منها فيختص بأرباب الفن القائمين  
 به والذين هم قادة وهداة لغيرهم فيه

لقد تقدم في اول هذا الكتاب في باب « أدب الاعتقادات » جملة مما فيه الكفاية من الوجهة العملية والنظرية في « التوحيد » فيما يتعلق بمبدئه اسلامياً أما تعلمه والتأديب به عند الكفاية من المسلمين كعلم يجب تعلمه لانه فرض عين على كل مكلف في معرفة العقائد الدينية واجبها وجائزها ومستحياؤها بحق الذات العلية ذات الله تعالى القدسية ثم ما يتبع ذلك من العقائد وحكمه كما ترى الوجوب العيني على كل مكلف من ذكر واثنى واولها معرفة الصفات العشرين الواجب اعتقادها بحق الله تعالى وهي (١)

الوجود ، القدم ، البقاء ، مخالفة الحوادث ، قيامه تعالى بنفسه ، الوجدانية ، القدرة ، الارادة المتعلقةتان بجميع الممكنات العلم المتعلق بالجائز والمستحيل ، الحياة ، السمع ، البصر المتعلقةتان بجميع الموجودات ، الكلام الذي ليس بحرف ولا بصوت ويتعلق بما يتعلق به العلم ، وباقيها وهي سبعة تتعلق تعلق ملازمة بالصفات السبع الاخيرة منها ويقال لها الصفات المعنوية وهي كونه تعالى قادراً ومريداً ، عالماً ، حياً ، سمياً ، بصيراً ، متكلماً

(١) الاحياء للغزالي وشروح السنوسية في التوحيد

أما الصفات المستحيلة في حقه تعالى فهي المشرونة صفة  
التي تضاد الصفات السالفة من : العدم • والحدوث • والفناء •  
والمائلة للحوادث • وعدم القيام بالنفس • والتعدد • أو التركيب •  
والمجز وعدم الإرادة • والجهل • والموت • والعمى • والصمم •  
والبكم الى آخر ما يقع مضاداً للصفات العشرين الواجب التأدب  
باعقادها في الاسلام بحقه تعالى

أما ما يجب اعتقاده بحق الرسل عليهم الصلاة والسلام  
فالصدق والامانة وتبليغ ما أمروا بتبليغه الى الخلق ، ويستحيل  
في حقهم اضداد هذه الصفات من الكذب والخيانة بنقل  
شيء نهوا عنه نهى تحريم أو كراهة أو كتمان شيء مما أمروا بتبليغه  
الى الخلق وقد نص القرآن في غير موضع منه على تلك الاحوال  
للرسل وامثالها « وما ينطق عن الهوى » « ولو تقول علينا  
بعض الاقاويل لاخذنا منه بالوتين » الى اشباه ذلك من الآيات .  
ويلحق بذلك تصديق ما اخبروا به من احوال الآخرة  
من الحشر والنشر والجنة والنار الى آخر ما تراه مبسوطاً في  
كتب العقائد الموضوعه للكافة والمبرهن عليها عقلياً ونقلها وقد  
تقدم شيء منها في اول الرسالة

أما الفقه من العبادات والمعاملات الشرعية فلازم أيضا  
لإبناء الهيئة لزوم التوحيد اصولاً للتشريع وفروعاً للعمل لأن  
الإسلام إيمان وتصديق بالقلب واللسان ثم عمل بالأركان وحكم  
هذا الفقه الرجوب العيني في فروع العملية بقدر ما يعرف المرء  
به تصحيح عباداته وما في حكمها من معاملات واحواله الشخصية  
اللازمة لكل إنسان في الهيئة أما ما زاد على هذا القدر أصولاً  
وفروعاً فحكمه الرجوب الكفائي ولعمري الحق أن هذا هو السبب  
ما يطلب لصلاح أحوال الكافة لأن تفرغهم ذلك التفرغ العظيم  
المطلوب لساكنهم بصدده من الأعمال الحيوية والمهن المعاشية  
وطاب الأرزاق والسعي بهذا كله في عمار العالم موجب كله  
لهذا قاض به بطبيعة الحال فصار انقطاع الفقهاء والمشرعين من  
العلماء لساكنهم بصدده من الأصول الفقهية والفروع المستنبطة  
وتسهيل ورودها على الناس في حل مشكلاتهم ومعضلاتهم  
وتنظيم شؤونهم مهنة لهم لازمة للهيئة الاجتماعية في كل عصورها  
على حسب مقتضيات احوالها كما صار ما هو فرض عين من  
الفقه لازماً لكل مكلف لصلاح أمر دينه ودنياه بحسب تلك  
المقتضيات الزمانية حتى تكون الهيئة الإسلامية على الدوام في

ترق مستمر تبعا للاحوال والظروف ولهذا على ما يقول الفقهاء  
والاصوليون اصل كبير في الدين

ولقد مرّ بك جملة صالحة مما هو في حكم القروض المبنية  
من الفقه في باب ادب المبادات من هذه الرسالة بمقدار  
ما وسعه نطاقها ولا حاجة بي هنا الى المزيد وهناك من الكتب  
فيه على اختلاف المذاهب ما لا يقع تحت حصر وان كان  
ينقصنا منها ( كتب عصرية ) تناسب روح الزمان في اساليبه  
واذواقه و ( احواله ) حتى يسهل ورود الشرع حيا على كل  
وارد من الكافة من المسلمين المتعطشين لذلك المحتاجين اليه  
أيما احتياج ولا إخال أحداً من أبناء العصر المهدين الا وهو  
يشعر بحاجة الأمة الى ذلك ويأوم القاعين بزمامة العلم الشرعي  
على جمودهم واكتفائهم بالحواشي والتقارير والشروح القديمة التي  
لا تناسب في تطبيقاتها احوالنا الحاضرة ولقد قال بعض قضاة  
الجزائر الحاليين ان الشرع الاسلامي غير واقف وانما هو  
ككل اشياء هذا العالم في ارتقاء مستمر على ان الذي ينقصه  
انما هو الهمة والمزينة من اهله حتى يجلي عن شأنه ويستوفى  
حقه في الاخذ بيد الأمة في تقدماتها واشيائها الحالية ولا يري

بالنقص من الكمال من جماعة الباحثين الغربيين  
أما التفسير تفسير كتاب الله تعالى القرآني المجيد والذي ذكر  
الحكيم الذي لا يفرغ جديده بالكشف عن معاني آياته  
وأسرارها الصالحة لكل زمان ومكان لأنها قد استوفت  
الأصول العامة للشرع والمقائد والآداب الاجتماعية السامية  
وتأويلها بحسب ما يظهر منها لدوى النهي وأرباب البصائر من  
الراسخين في العلم والحكمة من أبناء الأمة الإسلامية فحكمه  
الوجوب الكفائي لأهل العلم الاختصاصيين وبمباراة أخرى  
لأولئك العلماء المتبحرين في كل فن من اللغة والشريعة والمعلوم  
الطبيعية والفلسفية بحسب مبلغ اطلاعهم في أزمستهم على الحقائق  
والوقائع العمرانية والحوادث الكونية <sup>(١)</sup> ولهذا حذر الشارع  
الحكيم من تأويل القرآن بالرأي وقال تعالى تنبها على هذا  
المبدأ (لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) حتى لا تصرف  
معاني الآيات إلى آراء واحوال قد ترى بدهشة العقول ومواقع  
الآيات وتناسبها واسباب نزولها أنها قد صرفت في غير حقها  
من المعنى الصريح أو التأويل الرجيح كما قد وقع فيه الكثير من

(١) قد حاز قصب السبق في الباب الامام الرازي في تفسيره الكبير

الصوفية وأرباب الاشارات الاصر الذي يسدون عين كل ناقد بصير مطلع على تفسيراتهم وتأويلاتهم

على ان هذا ليس بمانع ان يكون في الآيات القرآنية معان غير ما فهم منها بظاهر التفسير أو معان أخرى تناسبها منه وتقصدها الله تعالى حتى تتساوى العصور في الاخذ والاستنباط من القرآن حكمة من الله تعالى وفضلاً والقرآن كما قيل ( هو السهل المتنع والقديم الذي لا تفرغ جوده ) قال حجة الاسلام الغزالي رحمه الله تعالى <sup>(١)</sup> ( من زعم ان لا معنى للقرآن الا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة اليه ووجته التي هي حده ومحطه بل الاخبار والآثار تدل على ان في معاني القرآن منسماً لا رباب الفهم . قال على رضي الله تعالى عنه ( إلا ان يؤتي عبداً فهماً في القرآن ) فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم ، وقال صلى الله عليه وسلم ( ان للقرآن ظهراً وبتناً ومطلماً ) <sup>(٢)</sup> وفي هذا كفاية لقوم يعقلون

(١) الاحياء للغزالي (٢) راجع أيضاً الاثقان السيوطي فيه

شيء كثير يؤيد ذلك او يخالفه اه

ونحن بأشد الحاجة الى تفاسير تطبق فيها المكتشفات المصرية  
والحقائق العلمية على الآيات القرآنية ثم تأويل بعض آيات يفهم  
منها بحسب الظاهر ما يخالف المهود المؤلف تأويلاً يشفي  
الصدور ويقنع العقول مما هو من مصلحة الامة وشده أزر  
دينها تبعاً لسنة الارتقاء التي شملت كل العناصر خلا امثال  
هذا الباب على نحو ما اشرت اليه بالنظر الى الفقه وحاجة الامة  
الى كتب عصرية فيه مما هو من أشده موجبات الاسف ولو  
كان فسخ الله تعالى في اجل الامام المرحوم الشيخ محمد عبده  
لا تم تفسيره المصري ذلك الذي لم يظهر منه غير قطع وتنف  
قليلة ولبيل بهذا الصنيع صدى الاعم الاسلامية في جميع  
أقطار العالم

أما علم الأدب - أدب النفوس وتهذيب الاخلاق العملية  
فهذا ايضاً مما تجب مدارسته على افراد وان كان مندجاً في  
الاخلاق الدينية للوقوف على الرذائل لاجتنابها والوقوف على  
الفضائل للمسل بها . وهو يقسم الى أدب مع النفس وأدب  
مع الخلق وادب مع الخالق وسيأتي في باب ادب النفس من  
هذا المختصر جملة صالحة منه بقدر ما يحتمله المقام .

ويدخل في هذا الباب علم التصوف من مجاهدة النفس  
وتزكية القلوب والاعتراف بطريق الرياضة والتأدب بحضرة  
الرب تعالي وتصفية الباطن والظاهر من الاكدار في جميع  
الشؤون والاطوار كما قال الشاعر ملجأ

ليس التصوف لبس الصوف ترقمه

ولا بكائك ان غنى المفضونا

ان التصوف ان تصفو بلا كسر

وتتبع الشرع والقرآن والدينا

فالتصوف على هذا فرع علم ادب النفوس لهذا طلب  
قديماً لانه كما قال احد مشايخه الشيخ قاسم الخالي (انه الوقوف  
مع الآداب الشرعية ظاهراً وباطناً) على ان القوم لما غيروا  
وبدلوا وتوسعوا وتطرفوا وتشددوا وتمتعوا لهذا كله خرجوا  
عن المبدأ الصحيح والغاية الحميدة خصوصاً متأخروا والتصوفة  
فانهم نهجوا نهجاً مخالفاً للشرع وخبطوا وخبطوا عشواء في دياجير  
البدع والجبر المحض مما جعل الادب والكمال الشرعيين المطولين  
في علومهم هذا في واد وهم باعمالهم وافانينهم في واد آخر غير ذي  
زرع ولقد جاء في الحديث الشريف هذه الحكمة البالغة الكاشفة

(ياكم والتمق في الدين فان الله جملة سهلاً فخذوا منه ما تطيقون فان  
الله تعالى يحب ما دام من عمل صالح وان كان يسيراً )  
أما العلوم الآلية التي هي وسائل ووسائط لفهم أسرار  
الدين ومعاني القرآن وبلاغاته وحكمه واحوال النبوة واحاديث  
سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ثم تسهيل فهم العلوم الدنيوية  
فقد حدثت بالضرورة بعد عصر النبوة وتطلب العقول والرقى  
الاسلامى للمتسع من الاحوال والتقدسات العلمية فشاع الخط  
العربي والقراءة والكتابة تلك الاشياء التي هي ضرورية لسلك  
انسان ووضع علم النحو والصرف واللغة والماني والبيان والبدع  
والعروض : القافية بالنسبة الى الشعر وتثبتت المقول بتعلم  
الحساب والجبر والهندسة والفلك لضرورتها في احوال الخلق  
وتصرفهم في الشؤون العمرانية الحسية والمنوية والطب ذلك  
الفن الذي عليه مدار حفظ صحة ابدان افراد الهيئة ومداواتها  
من الامراض الطارئة والاسقام اللاحقة ثم العلوم الطبيعية  
لمعرفة اسرار مواليدها والتاريخ وتخطيط البلدان وتدوين الاخبار  
والآداب وقول الشعر وفن الموسيقى<sup>(١)</sup>

(١) مقدمة ابن خلدون وغيرها

فهذه منها ما هو واجب تعلم مبادئه على كل انسان ومنها ما يخلق بان يدخل في حكم الفرض الكفائي والكمال العمري فيختص به ارباب الفن الاختصاصيون حتى تنتظم احوال العمران البشرى والسلف من اهل الاسلام في كل منها آثار جليلة وماثر عراء وايد بيضاء بقدر ما وسعه حاطم واقتضاه تفهم وصلاحاتهم من معقول العلوم ومنقولها

والذي يلزمنا نحن ان نتأدب به معاشر اهل الاسلام المصريين في هذا العصر من جهة اكتساب العلوم وتحصيل المعارف اللازمة لرقينا ورفق هيئاتنا هو ان نتحرى بسوادنا الاعظم الاحاطة بالمبادئ الدينية التي هي فرض عين ثم ان نتعلم مبادئ العلوم الآلية الضرورية من الخط ومبادئ اللسان والحساب وشي من دروس الاشياء وادب النفس حتى يدخل احدنا غمار هذه الحياة وهو على شيء ويحاول فنه الخصوصي وهو على جانب من المعرفة والعلم الضروري والمعلم كما قال الشاعر :

العلم يحيي نفوساً قط ما عرفت      من قبل ما الفرق بين الصدق والمين  
العلم للنفس نور يستمد به      على الحقائق مثل النور للعين